مجلة "مدارات في اللّغة والأدب" الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث، تبسة–الجزائر.

المجلد01.العـدد: 03. السنة: 2019 ص 232– 250
ISSN 2661-765x

الآخر عند الشعراء السود في العصر الجاهلي وصدر الإسلام

*د. ضرار كاظم مظلوم عبد الفتلاوي

جامعة الكوفة، كلية التربية الأساسية قسم اللغة العربية.

ملخص البحث

إن هذه الدراسة الموسومة ب(الآخر عند الشعراء السود في العصر الجاهلي وصدر الإسلام) تهدف الى إبراز تجليات الآخر عند هذه الفئة المقهورة من خلال عرض واستقراء شعرها ، وقد اتضح أن العلاقة مع الآخر عند هذه الفئة اتسمت بالرفض ،والتصادم ،والتحايل والمماطلة تارة ، وبإسقاط الرؤى تارة أخرى ، كل ذلك دلل على مدى الحرمان والتهميش والإقصاء الذي كان يعيشه الأسود في المجتمع، ولكن تلك المحاولات والإسقاطات لم تؤتِ أكلها ولم تُجنَ ثمارها ، وبقي الأسود بلا انتماء ويعاني التهميش والإقصاء .

ومن خلال ذلك يمكن القول أن الآخر في شعر السود كان عاملاً رئيساً في توجيه رؤية الشاعر الأسود نحو رؤية خاصة اتسمت بالرفض والسخرية لكل ما اتصل بهذا المجتمع الذي قهره وجعله مشرداً كنبات قُطعت جذوره فاصفرت أوراقه وتدانت من ملامسة –أو لامست – البيئة الطبيعية القاسية بكل ما تحمل من لفحات وسموم ووعورة .

Abstract

This study which is marked by other blak poets in the pre-Islamic version aim at highlighting the manifestations of the other inthis category by presenting and her hair has become clear that the relationship with the other in this category which was characterized by rejection and collusion and fraud and procrastination tara and to drop visions other

All this demonstrated the extent of deprivation marginalization and exclusion that blacks lived in society but those attempts and projections did not come to eat and did not reap the fruits and remained black without belonging and suffer marginalization and exclusion and through that can be said that the other in black poetry was a major factor in guiding the vision of the black

* المؤلف المرسل: د. ضرار كاظم مظلوم عبد الفتلاوي.

poet towards a special vision characterized by rejection and ridicule for all that he called this community who conquered him and made him homeless as a sofa whose roots were cut off and his papers scattered you are touching or touching the harsh natural environment with all the things that are loaded with loafs toxins and bumps.

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق من العدم، وعلّم الإنسان ما لم يعلم، والصّلاة والسّلام على نبي الرّحمة محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وأهل بيته الطيبين الطّاهرين (عليهم السلام) ، وأصحابه الغر الميامين (رضوان الله عليهم)، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين .

و بعد :

فقد شغلت العلاقة مع الآخر حيزاً كبيراً من الدّراسات الأدبية، ولعلّ ذلك عائد إلى الأهمية التي يتمتع فيها الآخر إذ إنّ بوساطته يمكن الكشف عن الذات فلا تظهر الذات دون وجود آخر، ومن هنا آخذ الآخر تشكلات عديدة عبر الزمن، وعلى هذا فقد كان الآخر في شعر السود في غاية الأهمية ؛كونه المسؤول الأول عن ظهور هذه الطبقة الاجتماعية أولاً، أو توجيه سلوكها في الحياة وجهة خاصة ثانياً.

وقد أقمت البحث على تمهيد، ومبحثين، وخاتمة، أمّا التمهيد فكان مدخلاً للبحث ضمّ معنى الآخر في اللغة والاصطلاح ، والتعريف بالشعراء السود موضوع البحث.

فيما كان المبحث الأول مخصصاً لآخر القبيلة في شعر السود، وقد خصّصتُ المبحث الثاني لآخر الحيوان في شعر السود، وخلصتُ بعد ذلك كلّه إلى خاتمة البحث التي عرضت فيها خلاصة البحث ونتائجه.

وآخر دعواي أن الحمد لله ربّ العالمين

التمهيد :

أولاً- الآخر في اللغة والاصطلاح:

ورد معنى الآخر في المعاجم العربية على النحو الآتي:

1-في معجم تاج اللغة وصحاح العربية: ((الآخر بالفتح : أحد الشيئين ، وهو اسم على أفعل ، والأنثى أخرى))[1].

2-في معجم تاج العروس من جواهر القاموس: ((الآخر أحد الشيئين ،اسم فيه معنى الصفة ، والآخر بمعنى غير ، كقولك :رجل آخر وأصله أُخّر أي تأخّر فمعناه أشدّ تأخراً ثم صار بمعنى المغاير))[2].

3-في المعجم الوسيط : ((الآخر أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد))[3]

4-معجم لسان العرب : ((الآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب آخر))[4]

إذن فالآخر لغة يحمل دلالة المطابقة والاختلاف والغيبة.

[1] -الصحاح : مادة آخر.

[2] -تاج العروس : مادة آخر.

[3] -المعجم الوسيط : مادة آخر.

[4] -لسان العرب : مادة آخر.

أمّا مفهوم الآخر في الاصطلاح فقد ورد بتعريفات عدّة ،وذلك بفعل زوايا النظر التي ينطلق منها أو يؤسس عليها ، فمثلاً يرى سارتر أن الآخر : هو الأساس الأهم في حياة الفرد فمن خلال الآخر يمكن للفرد أن يكتشف ذاته وينمي قدراته[1]، فيما يرى فوكو أن الآخر هو : كل ما تعلق بالذات وارتبط بها ارتباطاً وثيقاً شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت[2], ومن الملاحظ على هذين التعريفين انطلاقهما من منظور فلسفي كونهما جعلا الآخر محكوماً بالذات ومرتبطاً بها ارتباطاً وثيقاً.

في حين يرى جاك لاكان أنّ الآخر هو :الكائن المختلف عن الذات ، أو الذي يمكن أن يدخل طرفاً في علاقة مع الذات، ومن خلال تعريف لاكان يمكن ملاحظة وجهة النظر النفسية التي أسس عليها مفهوم الآخر ؛كونه جعل من الآخر أداة ربط بين العالم الدّاخلي للفرد وعالمه الخارجي، وهناك من يرى أن((الآخر هو الذي يخالف الذات والعقيدة والثقافة ويظهر الآخر كالمستعمر للأنا والعلاقة معه محكومة بالتصادم والمواجهة)) [3]، وفي هذا التعريف إطلاق لمفهوم الآخر؛ إذ جعل من الآخر مخالفاً للذات والعقيدة والثقافة، كما وجعل العلاقة الرابطة بين الأنا والآخر علاقة ندية قائمة على المواجهة وإثبات الوجود.

ثانياً –الشعراء السود في العصر الجاهلي وصدر الإسلام:

مادام البحث متصلاً بالشعراء السود وجب التعريف بهم ، ونقل الاختلاف الحاصل في عددهم ؛فابن قتيبة (ت276هـ) يذكر أن عددهم ثلاثة ، وذلك حين تحدث عن عنترة فقال : ((وهو أحد

[1] –ظ الآخر حسب سارتر وظاهرية ميلو بونتي: 106-108.

[2] –ظ دليل الناقد الأدبي :21-22.

[3] –تمثيلات الهوية والآخر:52.

أغربة العرب ،وهم ثلاثة عنترة وامه زبيبة سوداء وخفاف بن عمر الشريديُّ، من بني سليم، وامّه نَدْبَة وإليها ينسب وكانت سوداء، والسليك بن عمر السّعدي وامه سَلكة وإليها ينسب وكانت سوداء))[1] ، وقد نقل الأصفهاني(ت 356هـ) الرأي نفسه عن ابن الكلبي[2]، وذهب أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ) إلى أن عددهم ثلاثة أيضاً[3]، وكذلك ذهب عبد القادر البغدادي (ت1093هـ)[4] ، وقد مال إلى هذا الرأي الدكتور عبدة بدوي ؛وذلك حين أخرج الشنفرى وتأبط شراً من دائرة الشعراء السود[5]. فيما جعل الزبيدي[6]وابن منظور[7]عددهم خمسة[8]وهم: عنترة بن شداد شداد العبسي، وخفاف بن ندبة السلمي ، وابو عمير بن الحباب السلمي ، والسليك بن سلكة، وهشام بن عقبة بن ابي معيط ، وتأبط شراً والشنفرى، أما السيوطي(ت 911هـ)[9] فينقل أنّ عددهم سبعة وهم عنترة بن شداد وامه زبيبة، وخفاف وامه ندب ، وابو عمير بن الحباب السلمي، والسليك وامه سلكة ، وهشام بن عقبة بن ابي معيط —وهو مخضرم– ، وتأبط شراً والشنفرى.

ومّا سبق يمكن القول إن العرب لقبت فئة من شعرائها ب(الأغربة)؛ نتيجة للونهم الأسود الذي لحقهم من امهاتهم الإماء، وقد اختلف في عدد هؤلاء فقيل: أنّهم ثلاثة، وقيل: خمسة، وقيل: سبعة.

[1] –الشعر والشعراء:149/1

[2] –ظ الأغاني :247/8.

[3] –ظ ثمار القلوب:159–160.

[4] –ظ خزانة الأدب :140/1.

[5] –ظ الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي :23–29.

[6] –ظ تاج العروس : مادة غرب.

[7] –ظ لسان العرب : مادة غرب.

[8] –ممّا تجدر الاشارة اليه ههنا أنّ الزبيدي وابن منظور جعلا من تأبط شراً والشنفرى شاعرين إسلاميين وهو خلاف المشهور.

[9] – ظ المزهر:431/2.

المبحث الأول : الآخر القبيلة

مثلت القبيلة في العصر الجاهلي عماد الحياة وأساس قوامها ، وذلك بفعل ارتباط أفرادها برابطة الدم والنسب؛ إذ ترجع الأسر المكنونة للقبيلة لجد أعلى، وغالباً ما تسمى القبيلة باسمه[1]؛ ولعل ذلك هو الذي أسهم إسهاماً كبيراً في نشوء العصبية القبلية عند العرب ، ومن هنا يمكن للباحث أن يفهم السبب الذي جعل شعر السود خالياً من العصبية ؛كون المجتمع حرم الشاعر الأسود من هوية الانتماء وفرض عليه التهميش والإقصاء، وذلك ما صرح به عنترة بقوله[2]: – –الرمل–

نِسْبَتِي سَيْفِي وَرُمْحِي ،وهُمَا يُؤْنِسَانِي كُلَّمَا اشتدَّ الفَزَع

فهو يصرح بعمق معاناته الناتجة من اللاتآلف، واللاانسجام، واللاقبول، والتي ولدت فزعاً مزمناً في نفسه أدّى به إلى الانتساب إلى السيف ، والرمح ، بدلاً عن قومه الذين رفضوا أن يكونَ كواحدٍ منهم، إذ ((لم يحظَ عنترة بكرم النسب وعتقه من بني البشر ، فلجأ إلى بديل قد يكافؤه ويوازيه من اتجاه آخر ، فأحال انتسابه إلى قيم الفروسية والشجاعة والإقدام في محاولة لكسب معركته في إثبات كينونيته ووجوده))[3].

فيما أعلن الشنفرى رؤيته للآخر القبيلة في قوله[4]: (الطويل)

[1] – ظ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام :316/4، الحياة الأدبية في العصر الجاهلي :38، دراسات في الأدب الجاهلي: 22-22-27.

[2] – ديوان عنترة :166

[3] – مظاهر القهر الإنساني :35.

[4] –ديوان الشنفرى :58.

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطِيِّكُمْ فانِّي الى قَوْمٍ سِواكُمْ لأمْيَلُ
فَقَد حُمَّتِ الحَاجَاتُ واللَّيْلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطِيّاتٍ مَطَايَا وأرْحَلُ
وفي الأرْضِ مَنأى لِلْكَرِيمِ عَنِ الأذى وفيها لِمَنْ خَافَ القِلَى مُتَعَزَّلُ
لَعَمْرُكَ ما بالأَرْضِ ضِيقٌ على امْرِىءٍ سَرَى رَاغِبَاً أو راهِبَا وهو يَعْقِلُ
ولي دُونَكُمْ أهلون: سِيدٌ عَمَلَّسٌ وَأرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْئَلُ
هُمُ الأهْلُ لا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذائعٌ لدَيْهِمْ ولا الجَاني بما جَرَّ يُخْذَلُ

إذ افتتح قصيدته بالجملة الفعلي (أقيموا) التي تدل على عدم الثبات والاستقرار، ممّا يوحي بانفصاله عن القبيلة ؛ نتيجة لأفعال أبنائها وهذا ما لمح إليه باستخدامه لصيغة (بني أمي) التي تدلّ على المودة والعاطفة ، فهو يريد القول أنّه غير راغب بهذا الرحيل ؛إلّا أن ما يلاقيه من ذلٍّ وحرمانٍ كان الدّافع الأول والأساس لهذا الرحيل ، ثم يقدم فلسفة تنم عن مدى فهمه لعالمه المحيط به من خلال ربط المكان بالحرية فالنّاس جميعاً على علمٍ تامٍ بأن الأرض واسعة ولكّهم لا يسعون إلى الانتقال عندما يُستعبدون أو يرهقون ظلماً، لذلك أضفى على هذا المكان صفة الإطلاق وعدم التحديد ، وكأنّه يشير إلى سذاجة المستضعفين ؛ كونهم يقبلون بما يلاقون من قهر، وذلّ وحرمان، واستعباد، مع سعة هذه الأرض، فعندما ((تصبح أعماق الذات بكل ما تنطوي عليه من رؤى وأشواق وعذابات أيضاً فردوساً داخلياً موازياً لجحيم الخارج ، جحيم القهر والخوف ورعب الاقتلاع من الجذور فإنّ توازي المكان الداخلي مع جحيم الخارج يؤدي إلى انقطاع عن المكان))[1]

[1] –جماليات المكان: 39.

ومن الذين حملوا لواء الانفصال عن القبيلة تأبط شراً في قصيدته ياعيد مالك، والتي منها قوله[1]: –البسيط–

عَاذَلَتِي انّ بعضَ اللَّوْمِ مَعْفَنَةُ وَهَلْ مَتَاعٌ وانْ أبْقَيْتُهُ بَاقِ

انِّي زَعِيْمٌ لَئنْ لم تَتْرُكِي عَذَلِي أنْ يَسْألَ الحَيُّ عَنِّي أهْلَ آفاقِ

أنْ يَسْألَ القَوْمُ عَنِّي أهْلَ مَعْرِفَةٍ فَلا يُخَبِّرُهُمْ عَنْ ثابتٍ لاقِ

سَدِّدْ خِلَا لَكَ مِنْ مَالٍ تُجَمِّعُهُ حَتّى تُلاقِي الذي كُلُّ امْرِىءٍ لَاقِ

لَتَقْرَعَنَّ عَلَيَّ السَّنَّ مِنْ نَدَمٍ اذَا تذَكَّرْتِ يَوْمَاً بَعْضَ أخْلَاقِي

ولعلّ ((هذه القصيدة التي تناغمت في مقطع منها قيم الصعلكة والقبيلة ، كانت تتنامى إلى احتفائية بتشجيع الانتماء القبلي والانفصال التام ، والهجرة إلى مكان ناء لا مقدرة لأهل الخبرة بدروب الصحراء في الوصول إليه، ولذلك رحل إلى العالم البديل ، مؤكداً أنّ خسارتهم لفقده كبيرة ، وأنّه لن يسدّ مكانه أحد ، وختم قصيدته ببيت الانفصال النهائي في طريق اللاعودة))[2] الذي رسم فيه صورة مؤلمة لتحسر قومه على رحيله ألا وهي صورة صك الأسنان والتي ارتبطت بالتحسر والتوجع والندم [3]متبعاً ذلك بنون التوكيد الثقيلة ؛ليدلل على حتمية وقوع الندم.

وقد كان رفض السليك لواقعه الاجتماعي مختلفاً فرسم في قوله[4]: –الوافر–

أشابَ الرأسَ أنّي كُلَّ يَوْمٍ، أَرَى لِي خَالَةً وَسْطَ الرِّحَالِ

[1] –ديوان تأبط شراً:43–44.

[2] –رؤية العالم في شعر الصعاليك:145.

[3] –كما في قوله تعالى : ((يوم يعضّ الظّالم على يديه يقول يا ليتني اتخذتُ مع الرّسول سبيلا)) الفرقان :27–28.

[4] –الشعراء الصعاليك ،طلال حرب:89.

يَشُقُّ عَلَيَّ أنْ يَلْقَيْنَ ضَيْمَاً وَيَعْجِزُ عَنْ تَخَلُّصِهِنَّ مالِي

صورة لخالاته وهنّ يعانينَ القهر والظلم من ذلك المجتمع ((فهذان البيتان يَصوران تحسر الشاعر على حال خالاته بسبب عجزه عن رفع الظلم عنهنّ، وهما في الوقت ذاته مثلا صرخات احتجاج أطلقها الشاعر على واقعه الاجتماعي الذي عاشه)) [1].

فيما حاول سحيم عبد بني الحسحاس الاندماج مع مجتمعه ,ولكنّ محاولاته انتهت بالفشل؛ لذلك سعى للانتقام عن طريق إغواء نساء ساداته وامتلاك أجسادهن والتمتع بجمالهن، فرسم لنا في شعره جانباً من تلك المغامرات الفاحشة التي كان يعيشها[2].

أمّا عبدة بن الطبيب فلم يرد في شعره ما يدلّ على انفصاله عن قبيلته إلا ما روي أنه كان أحد لصوص الرّباب[3].

ولعلّ خفاف كان أكثر فطنة وتبصر لعالمه المحيط به، وذلك حين طالب بالزعامة؛ إذ يرى الباحث أنّ هذه المطالبة بحدّ ذاتها تمثل خروجاً فطناً على تقاليد القبيلة ، وإلّا فمن غير المعقول أو المقبول أن يسعى خفاف وهو ذلك العبد الأسود للحصول على الزّعامة في ذلك المجتمع المتزمت بالعصبية المتشبث بالأبوة والذي حرمه من النسبة إلى ابيه لمجرد المطالبة أو العبث ، بل هدف من ذلك غلى الحصول على النسب الضائع من خلال هذه المحاولة التي أطلقها في مهاجاة منافسه في الزعامة العبّاس بن مرداس[4].

---

[1] –رؤية العالم في شعر الصعاليك:135.

[2] –ظ ديوان سحيم :15، 16، 18، 38، 39.

[3] –ظ جمهرة أنساب العرب :168.

[4] –ظ الشعر والشعراء :632/2، الأغاني :134/16، ديوان العبّاس بن مرداس السّلمي :13.

ومن تتبع أخبار السود وأشعارهم يلحظ أن علاقتهم بآخر القبيلة اتسمت بالرفض والانفصال لكنّها لم تأخذ شكلاً واحداً عند جميعهم بل سارت باتجاهين:

أ-الثورة على المجتمع مع البقاء فيه: ومثل هذا التجاه عنترة ، وبلغ هذا الاتجاه ذروته عند خفاف حين طالب بالزعامة ، وكذلك لم ترو كتب الأدب العربي خروج عبدة بن الطبيب عن قبيلته تميم.

ب-الثورة على المجتمع وعدم البقاء فيه: ومثل هذا الاتجاه بقية الشعراء السود الذين لم يرضوا بالذل في مجتمعهم ، فمنهم من امتهن الصعلكة كالسليك، وتأبط شراً، والشنفرى، ومنهم من لاذ بقوم غير قومه كسحيم عبد بني الحسحاس .

المبحث الثاني: الآخر الحيوان

فرضت الحياة القاسية على عرب شبه الجزيرة العربية التنقل والانتشار بحثاً عن مراع لمواشيهم ؛لذلك ارتبطت حياتهم بحيواناتهم ارتباطاً وثيقاً [1] و((أمّا الشاعر الجاهلي فصلته القوية بالحيوان تعدل صلته بالإنسان ، ولذلك زخر الشعر الجاهلي بمقطعات بل مطوّلات تصف الحيوان))[2] ، ولعلّ الناقة والفرس هما الحيوانان الأكثر ذكراً في الشعر الجاهلي ، وذلك بفعل ارتباطهما الوثيق بحياة الفرد وصلتهما بمستقبله، أمّا الناقة فقد ورد ذكرها في الشعر الجاهلي على ثلاث صور[3]:

[1] -ظ الطبيعة في الشعر الجاهلي :55.

[2] -الأدب الجاهلي :92.

[3] -الصورة الفنية في الشعر الجاهلي :77.

1-ناقة الأسفار: وهي الناقة التي ارتبط ذكرها بذكر السفر ؛كونها كانت رفيقة العربي وأنيسته في قطع المفاوز والقفار؛ ولأجل أن تقوم بأداء مهمتها كان لابد لها من التمتع بمميزات وخصائص جعلها العربي مقياساً لناقة سفره[1].

وقد ورد ذكر هذه النّاقة في شعر السود ومن ذلك قول عبدة بن الطبيب[2]: -البسيط-

إنّ التي ضَرَبَتْ بَيْتاً مُهَاجِرَةً بِكوفَةِ الجُنْدِ غَالَتْ وُدّها غُوْلُ
فَعَدِّ عَنْهَا وَلا تَشْغَلْكَ عَنْ عَمَلٍ إنّ الصَّبَابَةَ بَعْدَ الشَّبِ تَضْلِيلُ
بِجَسْرَةٍ كَعَلاةِ القَيْنِ دَوسَرَةٍ فِيها عَلى الأيْنِ إرقالٌ وتَبْغِيلُ
عَنْسٍ تُشِيرُ بِقِنْوانٍ إذا زُجِرَتْ من خَصَبَةٍ بَقِيَتْ فِيها شَعَالِيلُ
قَرَواءَ مَقْذُوفَةٍ بالنَّحْضِ يَشْعَفُهَا فَرْطُ المِرَاحِ إذا كَلَّ المراسِيْلُ

فقد وصف ناقته بالصلابة والتطاول على الأرض فضلاً عن سرعتها واكتنازها باللحم.

أمّا خفاف بن ندبة فيقول[3]: -الوافر-

فإمّا تُعْرِضِي يا سَلْمُ عَنّي وأصبحُ لا أُكَلِّمُكُمْ كَلَامَا
فرُبَّ نَجيبةٍ أعْمَلْتُ حتى تقومَ إذا لَوَيْتُ لها الزّمَامَا

والذي ظهر فيه مخاطباً (سلمى) ومتوعداً لها في حال إعراضها وابتعادها عنه أنه سيشد الرّحال ويقتفي آثرها ، وهو لاحق بها لامحالة ؛كون ناقته تتصف بالقوة والخفة والسرعة.

[1] -ظ الجانب الخلقي في المعلقات العشر :386.
[2] -شعر عبدة بن الطبيب :59-60.
[3] -شعر خفاف بن ندبة السّلمي :95.

2-ناقة القرى : وهي الناقة المعدّة للذبح ، وغالباً ما تتصف بالجلالة والسمن ، ولم يرد ذكر هذه الناقة في شعر السود، ولعل ذلك عائد إلى الحالة الاقتصادية أو الحالة الاجتماعية التي يعيشونها.

3-الناقة السانية وهي الناقة التي ارتبطت صورتها بالوقوف على الأطلال وبكاء الأحبة ، وغالباً ما تتصف بالتجلد والصلابة، كما في قول عنترة [1]: -الكامل- -

هلْ غادرَ الشعراءُ من مُتردّمِ أمْ هلْ عَرفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوهُمِّ
أعياكَ رَسْمُ الدّارِ لمْ يَتَكَلَّمِ حتّى تكلَّمَ كالأصَمِّ الأعْجَمِ
ولقد حبستُ بها طويلاً ناقتي أشكو إلى سُفْعٍ رَواكدَ جُثّمِ
يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تَكلّمي وعِمِي صَبَاحاً دارَ عَبْلَةَ واسلمي
فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فَدَنٌ لأقضيَ حاجةَ المتَلَوّمِ

ففي هذه الأبيات يرسم عنترة مشهداً لدار محبوبته وهي خالية من أهلها الضاعنين عنها وكيف أنّه مرّ بتلك الدّار وأحزنه ذلك المنظر؛ حيث تذكر الأيام التي كانت فيها هذه الدّار عامرة ، وقد دفعه ذلك الحزن إلى التريث ، وإيقاف ناقته ؛للبكاء ، ولعلّ مجيء الحال(طويلاً) يؤكد شدة الجزع وامتداده لمدة زمنية ليست قصيرة.

أما الخيل فقد وردت بصورتين[2]:

أ-خيل الإغارة: وهي الخيل التي ارتبط ذكرها بالغارات والحروب، ولعلّ أبرز مثال على ذلك ما صوّره عنترة بقوله[1]: -الكامل-

[1] -ديوان عنترة 186-187.

[2] -الصورة الفنية في الشعر الجاهلي :83، الأدب الجاهلي :96.

مَا زِلتُ أرْمِيهِمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ولَبانِهِ حتّى تَسَرْبَلَ بالدَّمِ

فازوَرّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانــهِ وَشَكَا اليَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحــمِ

لَو كان يَدْرِي ما المحاوَرَةُ اشْتَكَى أو كَانَ يَدْرِي مَا جَوابُ تَكَلُّمِي

ففي هذه الأبيات يرسم عنترة صورة مشرفة لفروسيته التي دفعت لخوض معركة حامية الوطيس ، وقد كان من نتاج هذه المعركة أن أُصيب فرسه بجراح موجعة جعلته يضجّ ويشكو ، ولكون فاقد القدرة على الكلام فهم عنترة ما في نفسه دون كلام، وهذا الفهم متأتٍ من طول العشرة بين الصاحبين .

فيما يحبذ الشنفرى أن يكون فرس حربه هزيلاً، وذلك حين يقول[2]: -الطويل-

ولا عَيْبَ فِي اليَحْمُومِ غَيْرُ هُزَالِهِ على أنه يَوْمَ الهِيَاجِ سَمِينُ

وكَمْ مِنْ عَظِيمِ الخَلْقِ عِبْلٍ مُوثَّقٍ حَوَاهُ وفِيْهِ بَعْدَ ذَاكَ جُنُونُ

إذ استعمل أداة النفي (لا)؛ للدلالة على نفي العيب ،ثم استعمل أداة الاستثناء (غير)، ولكنّ قرينة السياق تؤكد أن ما بعدَ غير صفة محبذة، وهو ما أضفى على الجملة جمالاً رائعاً، فالفرس الذي يكون هزيل الجسم في السلم، وفي يوم الحرب ممتليء بما يقدمه من فعل يسر صاحبه هو الفرس الجيد ؛ كون القوة لا تقاس على مدى الضخامة وامتلاء الجسد.

وقد ورد ذكر فرس الإغارة عند خفاف بن ندبة في قوله[3]: -الكامل-

ولقد هَبطتُ الغَيْثَ يَدْفَعُ مَنْكبي طِرْفٌ كَسَافِلَةِ القَنَاةِ ذَنُوبُ

---

[1] -ديوان عنترة :216-217.

[2] -ديوان الشنفرى :77.

[3] -شعر خفاف بن ندبة السّلمي :42.

نَمِلٌ إذا ضُفِرَ اللّجامَ كأنّه رَجُلٌ يُنَوّه باليدينِ سَليبُ

حامٍ على دُبُر الشّياهِ كأنَّه اذا جَدَّ سَجْلٌ نَزَّهُ مَصْبوبُ

والذي أعطى فيه لفرسه صفة العقلاء، حيث وصفه بأصالة النسب، كما وصفه بالغلظة، مشبهاً إياه بالدلو العظيم الذي يصبّ منه الماء؛ ليدلل على شدة عدوه.

ب- خيل الصيد أو القنص: وهي الخيل المعدّة للصيد، ولم يرد ذكرها في شعر السود، ولعل ذلك عائد للحالة الاجتماعية التي يعيشونها.

ولم يخل شعر السود من ذكر بقية الحيوانات كالطيور والغزلان والظباء والبقر الوحشي ... وغيرها[1]، ولكنّ الشيء اللافت للانتباه في شعر السود أن قسماً منهم قد مال إلى الحيوان غير المستأنس ميلاً شديداً[2]، ومن ذلك قول الشنفرى[3]: -الوافر-

أنا السَّمْعُ الأزَلُّ فَلَا أُبَالِي وَلَوْ صَعُبَتْ شَنَاخِيبُ العِقَابِ

ولا ظَمأ يُؤَخّرُنِي وَحَرٌّ ولا خَمْصٌ يُقَصِّرُ مِنْ طِلَابِ

فهو يشبه نفسه بالسمع الذي هو ولد الذئب من الضبع ؛ليدلل على قوته وبأسه وقدرته على تجاوز الأهوال مهما كانت .

[1] -ظ مثلاً ديوان الشنفرى : 36 ، 40 ،70، ديوان تأبط شراً :36 ،52، 45، شعر خفاف بن ندبة السلمي :63 ، 70، ديوان سحيم : 28، 29 ،39، 48، 195.

[2] -ظ الشعراء السود وخصائصهم :307.

[3] -ديوان الشنفرى :30.

وقد بلغ الميل للحيوانات غير المستأنسة عند الشنفرى إلى جعلها بديلاً عن أهله ،ولعل السبب في ذلك عائد إلى الحالة النفسية المتأزمة التي كان يعيشها ، فجاء هذا النسب البديل معوضاً عن النسب الحقيقي الذي لا تتوافر في أبسط أسباب العيش.

فيما استأنس تأبط شراً بالذئب، في قوله[1]: -الطويل-

وَوَادٍ كَجَوْفِ العَيْرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ به الذّئْبُ يَعْوي كالخَلِيعِ المعَيَّلِ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا عَوَى إنَّ شأنَنَا قَلِيْلُ الغِنَى ان كُنْتَ لَمَّا تَمَوَّلِ
كِلانا اذا ما نالَ شيأً أفاتَهُ ومن يَحْتَرِث حَرثِي وَحَرْثَك يُهْزَلِ
كِلانا طَوَى كَشْحَاً عن الحيِّ بَعدما دَخَلْنَا عَلَى كِلاهُمْ كُلَّ مُدْخَلِ

ففي هذه الأبيات يظهر استئناس الشاعر بالذئب من خلال التقارب الذي يرسمه بين حياته وحياة هذا الحيوان الذي يتصف بعدم الخوف وعدم المبالاة والاكتراث لما يصنع، ويتضح من خلال سياق هذه المحاورة التي ساقها الشاعر في هذه الأبيات أنّ الذئبَ مثّل رمزاً لذات الشاعر؛ كونه ألحّ على جعل حياته وتطلعاته مساوية تماماً لحياته وتطلعاته.

ويتصل بذلك قول عنترة[2]: -الطويل-

حَلَفْنَا لَهُمْ والخَيْلُ تَرْدِي بِنَا معا نُزَايِلُكُمْ حَتّى تَهِرّوا العَوالِيَا
عواليَ زُرْقَاً مِنْ رِماحِ رُدَيْنَةٍ هريرَ الكلابِ يَتَّقِينَ الأفَاعِيا

[1] -ديوان تأبط شراً :62.
[2] -ديوان عنترة :224-225.

فقد ساق عنترة هذه الأبيات ؛ ليدلل على شجاعة قومه وبطشهم بأعدائهم، وشدة خوف أعدائهم منهم؛ لذلك شبه قومه بالأفاعي ، وشبه أعداءهم بالكلاب الفارة من الأفاعي؛ ليدلل على جبنهم.

وخلاصة القول: أنّ الشاعر الجاهلي قدّم صوراً متنوعة لحيواناته ووصفها بطرق عديدة ، ولعلّ ذلك عائد إلى قربه الشديد منها وارتباطه المباشر بها؛ لذلك كان وصفه لها جميلاً رائعاً يكاد يعطي صورة كاملاً عن حياة وصفات كل حيوان ، ومن هنا يمكن فهم ميل الشاعر الأسود للحيوان غير المستأنس إذ يمكن القول إنّ السبب وراء هذا الميل هو العامل الاجتماعي الذي حرم الأسود من أبسط مقومات العيش والكرامة؛ ولذلك كفر بكلّ ما اتصل بالمجتمع القاهر له ، ومن أبرز صور هذا الكفر أنه صوّر الحيوان غير المستأنس به عندهم على أنّه حيوان لطيف يمكن مجاورته والعيش معه ، ولعلّ ذلك إيحاء من الأسود لمجتمعه بخطأ مقاييسهم التي يقيسون بها أو عليها ، أو أنّه أراد أنْ يصور لمجتمعه أنّه يشبه ذلك الحيوان المفترس الذي يخشاه الشجعان لقوته وبطشه ، وهي حالة أفرغ الشاعر الأسود من خلالها ما كان يعانيه من اضطراب نفسي ، ولعلّه أراد أن يخبرهم أن هذا الحيوان غير المستأنس أقرب تسالماً له منهم ، ومن هنا كان الحيوان بشكل عام يمثل في رؤية الشاعر الأسود بديلاً نفسياً عن الرفض الذي يلقاه من قومه.

الخاتمة:

بعد هذه الجولة السريعة مع دواوين الشعراء السود في العصر الجاهلي توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

1-أخذ الآخر حيزاً كبيراً من الدّراسات الأدبية ؛ كونه يمثل الأساس الذي من خلاله يمكن الكشف عن الذات .

2-لم تتفق كتب الأدب العربي ودراساته على عدد الشعراء السود ، وأنّ أغلب من درس الشعراء السود قد اقتصر على ذكر المشهور منهم.

3-تأثر الشعراء السود بمحيطهم البيئي الطبيعي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، فولد هذا التأثر عندهم أزمة نفسية حادة انعكست في شعرهم.

4-إنّ الشاعر الأسود يميل في أغلب الأحيان إلى مخالفة ما تعارف عليه المجتمع في كلّ شيء، ولعلّه كان يقصد من وراء ذلك إلى التهكم والسخرية من قوانين ذلك المجتمع الذي حرمه من الانتماء وفرض عليه التهميش والإقصاء.

المصادر والمراجع -القرآن الكريم.

-تاج العروس من جواهر القاموس،السيد محمد مرتضى الحسيني الزّبيدي، تحقيق عبد الكريم العرباوي.

-الأدب الجاهلي(قضاياه –أغراضه-أعلامه- فنونه) ، د .غازي طليمات والأستاذ عرفان الأشقر، دار الفكر، ط2 ،1428هـ-2007م.

-تمثيلات الهوية والآخر-قراءة ثلاث نصوص روائية في الرواية الجزائرية-، بو شعيب الساوري، رابطة أهل العلم، ط1، 2008م.

-خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي(ت 1093هـ)قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور محمد نبيل الطريفي، إشراف د.إميل بديع، دار الكتب،ط2، 2000م.

-جماليات المكان في الرواية العربية، شاكر النابلسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 1994م، بيروت.

-دليل الناقد الأدبي،د. ميجان الروبي، سعد البازعي،المركز الثقافي العربي،ط5، 2007م.

-الشعر والشعراء(أو طبقات الشعراء)، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، حققه وضبط نصه د.مفيد محمد قميحة ، راجع وضبط نصه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،1405هـ-1985م، بيروت.

-الشعراء الصعاليك (ديوان الشنفرى ويليه السليك بن سلكة وعمر بن براق) ، إعداد وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، ط1، 1993م، بيروت.

-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور العطّار ، دار العلم للملايين ، ط1، 1376هـ-1956م، القاهرة.

-صورة الآخر في التراث العربي، د. ماجدة حمود، منشورات الاختلاف ،ط1، 2010م.

-الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى، ط2، 1982م.

-الطبيعة في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي،دار الإرشاد، ط1، 1970م.

-كتاب الأغاني، ابو الفرج الأصفهاني(ت 356هـ) شرحه وكتب هوامشه الأستاذ علي مهنا، والدكتور يوسف طويل، وسمير جابر، دار الكتب العلمية، ط5، 2008م.

-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت711هـ)، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1405هـ-1985م.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) شرحه وضبطه محمد أحمد جاد المولى ، محمد ابو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ،المكتبة العصرية، 1406هـ-1986م.

-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د علي جواد الطّاهر،ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط2 ، 1413هـ-1993م.

-الجانب الخلقي في المعلقات العشر،محمد عبد الله الغامدي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى، 2006م.

-رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، صغير بن غريب العنزي، أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، 1431هـ-1432هـ.

-مظاهر القهر الإنساني في الشعر الجاهلي،رباح عبد الله علي، رسالة ماجستير،كلية الأداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين، 2013م.

-ديوان سحيم عبد بني الحسحاس: تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية ،1950م.

-ديوان الشنفرى، جمعه وحققه وشرحه د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ط2، 1996م.

-ديوان تأبط شراً ، اعتنى به عبد الرحمن المصلاوي، دار المعرفة، ط1، 1424هـ-2003م.

-ديوان عنترة (تحقيق ودراسة)، محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ط1390،1هـ-1970م.

-شعر خفاف بن ندبة السّلمي، جمعه وحققه د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، 1967م، بغداد.

-شعر عبدة بن الطبيب، د. يحيى الجبوري، دار القلم، ط2، 1403هـ-1983م، الكويت.